رؤى متنوعة للمكان

رؤى متنوعة للمكان :

المكان .. هل يقتصر معنى هذه الكلمة عند المدلول الجغرافى المحدد المرتبط بمساحة محدودة من الأرض فى منطقة ما ؟ أم هى كلمة ذات دلالة أوسع وأشمل تحتوى البيئة بأكملها وما فيها من أناس وهموم وقيم ومبادئ باعتبار المكان كل ما يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع حركة الشخصيات وأفكارها وما ينتج عنها فى النهاية من أحداث .

إن بحث المكان عملية صعبة، فما زال ما نعرفه عن المكان محدوداً للغاية، فالمكان يعتبر سر من الأسرار ، ولغز من الألغاز لا نكاد نصل إليه ونفهمه حتى يزداد تعقيداً مما سبق ، ويعد المكان موضوعاً شائكاً وصعباً ، فالمكان موضوع ينطوى على كثير من المفارقات والمتناقضات ، وعلى ذلك فالطبيعة المتناقضة تجعل النظر إليه عملية صعبة التحديد ولذلك فهى نسبية ، حيث إنه تختلف نظرة كل فرد عن الآخر للمكان الواحد .. وقد شغل هذا المكان فكر الفلاسفة والمفكرين من قديم الأزل ، وما زال يشغلهم حتى الآن

عند اللغويين :

إنه – أى المكان – الاسم المشتق للدلالة على مكان وقوع الفعل[1] ... وهناك تعريف آخر يورده (يورى لوتمان) يقول فيه .. أن المكان مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة ... الخ تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة / العادية مثل الاتصال أو المسافة[2] .. وهناك تعريف قام به الباحثين أمثال .. (ستوكولوز) و(شوماضر) .. بتعريف المكان على اعتباره .. المكان السياق

الجغرافى والمعمارى للسلوك فهو – أى المكان – يشير إلى حيز ما يحيط بالإنسان ويطلق على هذا الإنسان اسماً . وهذا المكان لابد أن يتسم بصفات محددة ومحسوسة ، برغم أنه أصلاً تجريد أو فكرة عقلية مجردة وإلى هذا المكان تتم نسبة أو ربط – بعض المعانى الاجتماعية والشخصية من خلال الاستخدام المتكرر لهذه الصفات والمعانى[٣] .. ومن هذه التعريفات الثلاثة نخلص منها إلى أن المكان لابد له من وجود علاقات بين الظواهر وبعضها ، وكذلك لابد له من مجموعة من الخصائص تميزه على أن تكون خصائص فيزيقية أو طبيعية وتكون مميزة له ، ولابد من وجود الإطار الخاص بالعلاقة والمعنى والانتماء وهو الإطار الذى يخلعه الشخص على المكان ، فينسبه إلى نفسه وينسب نفسه إليه ، كذلك فإن المكان يثير حالات وجدانية تكون موجودة لدى الأفراد والجماعات وتسهم على نحو واضح فى تحقيق إحساسهم بالهوية الفردية والجماعية ، وفى استمرارية وجود هذا الإحساس لديهم .

ويذهب روزنتال وجودان فى معجمهما الفلسفى إلى أن المكان والزمان هما الصورتان الخاصتان بوجود الأشياء والحوادث . وهذه الأشياء والحوادث نجدها فى العالم الخارجى الواقعى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يمكن اعتبار المكان والزمان صورتين لإدراكنا ، وهذا التعريف الأخير يتفق مع أصحاب الاتجاه المثالى ، بينما التعريف السابق يتفق مع أصحاب الاتجاه الواقعى .[٤]

ويرى لالاند Laland فى معجمه الفلسفى والنقدى أن المكان وسط مثالى يتصف بطابع خارجية أجزائه . وفيه يتحدد موضع أو محل إدراكاتنا . وهو يحتوى بالتالى كل الامتدادات المتناهية ، وأنه نظام تساوق من الأشياء فى الوجود ومعيتها الحضورية فى تلاحق وممارسة وتجاور وتقارن . أما الزمان فهو نظام تتابع الأشياء أو الحادثات فى تتالى وتلاصق وتعاقب .

وسوف نتناول بعض المفاهيم العلمية للمكان من وجهة نظر الرياضة والفيزياء وعلم وظائف الأعضاء والجيولوجيا والفلسفة ..

المفهوم الرياضى : الحق أن المفهوم الرياضى للمكان والزمان لا ينظر فى مطابقة المكان أو الزمان للواقع أم لا ، ومن ثم أصبح الزمان مقولة مجردة تجريداً مطلقاً ، كما أصبح المكان كذلك . أن الزمان متصل متجانس مطلق وكذلك المكان ومن حيث الخصائص يكون الزمان عند الرياضيين متصل فريد واحدى البعد ويكون المكان متناظر الاتجاهات وله ثلاثة أبعاد.(٥)

المفهوم الفيزيائى : إنه يؤكد على الأصل الفيزيقى للمكان والزمان وذلك بواسطة الرجوع إلى العالم الخارجى .. والزمان والمكان مقولتين امبريقيتين أو تجريبيتين تشتقا من التجربة . وتستمدان منها ، قبل أى تدخل من عقل أو ملاحظ ، وفى هذا قال منكوفسكى Minkovski أن نظرات المكان والزمان التى أود أن أعرضها عليكم انبثقت من تربة التجربة ، وفى هذا تكمن قوتها .. وهكذا أصبح الزمان والمكان بالمعنى الفيزيائى موضوعيين وواقعيين وخارجين عن العقل وعن أفكاره الفطرية القبلية .(٦) ويوضح لنا عالم الفلك والفيزياء وفيلسوف العلم جيمس جينز أن العلم يطرح أربعة معان متميزة للمكان يقابلها أربعة معان متميزة للزمان . هى : المكان التصورى والمكان الإدراكى الحسى والمكان الفيزيائى والمكان المطلق . يقابلها : الزمان التصورى والزمان الإدراكى الحسى والزمان الفيزيائى والزمان المطلق .

إن الزمان والمكان هما القالب الذى صب فيه هذا الوجود جملة وتفصيلا ، وانتظم بفضلهما على هيئة كوزموس Cosmos أى كون منتظم . والكوزموس أو الكون الذى تتعامل معه الفيزياء الحديثة هو المادة تتحرك عبر المكان خلال الزمان . والنظرية الفيزيائية العامة هى التى تحدد قوانين هذه

الحركة ، أى حسابات الانتقال من نقطة إلى أخرى فى المكان بسرعة معينة أى خلال مدة من لحظة إلى أخرى فى الزمان .[٧]

وتذهب النظرية النسبية إلى أن المكان والزمان ليسا جوهرين مستقلين وإنما هما من الصفات والعلاقات الشاملة والأساسية للمنظومات المادية ، وأن العلاقات المكانية والزمانية مشتقة من التفاعلات المادية بين الظواهر والأحداث الفيزيائية ، وأن المكان والزمان لا ينفصلان أحدهما عن الآخر ، بل يشكلان جانبين فى كل واحد – من (المكان – الزمان) . وتثبت المعطيات التجريبية ترابط المكان والزمان ، وكذلك توقفهما على المادة والحركة ، فهى تبين أن جريان الزمان وامتداد الأجسام يتوقفان على سرعة حركتها وشدة حقول الجاذبية النابعة عن تراكم المواد . وعليه ، فليس ثمة علاقات مكانية زمانية مطلقة ، أى معطاة مرة واحدة وإلى الأبد . واحدة وعامة للكون كله ، وإنما تتوقف على حركة ووضع المنظومات المادية بعضها بالنسبة للآخر وتذهب التصورات المعاصرة إلى أن المكان ثلاثى الأبعاد ، وأن الزمان ذو بعد واحد . ويشكل المكان والزمان معاً متصلاً رباعى الأبعاد . وللزمان اتجاه واحد ، لا يقبل العكس . وهذا يعنى أن العمليات المادية كلها تتطور باتجاه وحيد من الماضى إلى المستقبل .

المفهوم الفسيولوجى : يقول لالاند .. يختلف المكان باختلاف الإحساسات المرتفعة والمنخفضة ، اليمنى منها واليسرى والأفقى منها والرأسى، وكل حاسة من حواسنا تكون على هذا النحو مكاناً فسيولوجياً .. ومن هنا ذهب أرنست ماخ وبوانكاريه إلى التمييز بين مكان بصرى ومكان تذوقى ومكان شمسى ومكان سمعى ، كما تحدث وليم جيمس عن مكانية إحساساتنا وذهب إلى أن إحساساتنا كلها، وليس الإحساس البصرى وحده، تتصف بالتجسيمية والمقدارية والامتداد.(٩)

المفهوم الجيولوجى : هو المكان التكوينى أو البنيوى ، فالموجودات على تنوعاتها واختلافاتها تتشكل وتتكون ليس فى زمان فقط وإنما فى بنية ذات مقدار وامتداد وأبعاد ومواقع واتجاهات .. وعلى هذا النحو يمكن أن نقرر بأن جميع الأشياء والموجودات زمانية مكانية البنية والتكوين ، لا نستطيع أن تفصل فيها بين مكانها البنيوى وبين زمانها البنيوى أو التكوينى . وهنا يوصلنا هذا المفهوم الجيولوجى إلى زمان مكانى أو مكان زمانى تتشكل ابتداء منه وتتطور كل الأشياء وكل الموجودات .(١٠)

المفهوم الفلسفى : نقول قبل نشأة العلم الحديث بقرون عدة كانت الفلسفة قد صاغت نظرياً ما هو معطى للحس المشترك ، فذهبت إلى أن العالم الخارجى أو الكون كوزموس ، سلسلة من الظواهر يستحيل منطقياً حدوث أيها خارج نطاق الزمان والمكان . وقديماً أشار هيراقليطس إلى أنه لا يوجد خارج إطارهما حين قال : لا شىء فى هذا العالم يستطيع أن يتجاوز مقاييسه وهذه المقاييس هى الحدود المكانية والزمانية. أما الفيثاغورية فقد رأت أن العالم قد وجد (أصلاً) بفضل ما له من حدود زمانية مكانية . والخلاصة إذن إنهما إطار الوجود الذى عهدناه .

ويطالعنا أفلاطون Plato بأن المكان غير حقيقى ، وهو الحاوى للموجودات المتكثرة ، ومحل التغير والحركة فى المحسوس ، عالم الظواهر غير الحقيقى ، كما أن الزمان فى عالمنا المحسوس هذا غير حقيقى أيضاً ، أن عالم المثل عنده الفوق الحسى لا مكانى لأنه مثالى أو روحى ، وهو لا زمانى بمعنى زمننا الأرضى ، إنه أزلى أبدى .

أما أرسطو Aristotale فقد عرف الزمان بأنه مقياس أو عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر ، ومعنى هذا أن الزمان يرتبط بالحركة من حيث إنه

يعد السابق واللاحق منها . أما المكان عنده فهو السطح الباطن المماس للجسم المحوى وهو على نوعين : خاص ، فلكل جسم مكان يشغله ومشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر .

وفى الفكر الفلسفى الحديث نجد ديكارت Decartes يعطى اهتماماً خاصاً بالمكان وبخاصة فى كتابه قواعد المنهج حيث يقرر فى القاعدتين الثالثة عشر والرابعة عشر ضرورة إرجاع الموضوعات لدى دراستها إلى مقادير يمكن قياسها وحسابها والمقارنة بينهما ، وضرورة إرجاع هذه المقارنات إلى متساويات ولما كان المقدار الطبيعى امتداداً هندسياً ، ولما كان يتغير ويتحول ، فإن تغيره يكون حركة ديناميكية أى حركة فى المكان .

إن المكان عند ديكارت هو فكرة فطرية من أفكار العقل ، فإن لم تكن لدينا الأفكار المسبقة الفطرية عن الدوائر والمثلثات فإننا لن نكتشفها أبداً ولن نعرفها فى عالم الخبرة الحسية أو العالم الخارجى .

أما كانط Kant فقد جعل الزمان والمكان غير موجودين خارج تمثلاتنا، يقول كانط : الزمان والمكان مع ما يملأهما من ظواهر فى عالم المحسوسات لا وجود لها خارج تمثلاتنا .. والمكان والزمان عند كانط صورتان أوليتان Apriari فبليتان ولا يرجعان بحال إلى العالم الخارجى وما نكتسبه من معارف منه أى أنهما ليسا بعدين ، إنهما من الأفكار والقوالب الفطرية الموجودة فى العقل ، أو ضمن الإطارات الفارغة التى تمتلئ من الخارج بواسطة الحواس . والتقابل بين المكان والزمان يمكن وصفه وتصعيده على النحو التالى :

المكان	الزمان
النقطة	اللحظة
الامتداد	الديمومة
التتالى	التوالى
السكونية	الحركية
الثبات	التغير
الكينونة	الصيرورة

ويقول بياجيه (أن الزمان متحرك والمكان زمان متحرك) .. إنهما لا ينفصلان البتة .. وبتشابكهما معاً يحويان الأنظمة الأخرى جميعاً . الزمان وحدة والمكان وحدة . وكل نطاق أو حيز معين جزء من المكان ، وكل أجزاء المكان ترتبط معاً فى وحدة. تماماً كما أن مدة معينة جزء من الزمان ، وكل أجزاء الزمان ترتبط معاً فى وحدة .. ولعلهما من زاوية ما للنظر – خصوصاً إذا كانت العقلانية والعلمية – يبدوان متماثلين ويثيران مشكلات واحدة ، حتى أن الطوبولوجيا Topology مثلاً – وهى العلم الذى قام لدراسة أخص خصائص المكان من حيث هو مكان . أى العلاقات المكانية المختلفة كعلاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الاندماج والانفصال والاتصال ، التى تعطينا الشكل الثابت للمكان ، الذى لا يتغير المسافات والمساحات والأحجام ..[١١]

وإذا ما بدأنا من أبسط شكل للمكان وهو الشكل الذى يقابل اللحظة فى الزمان لكان لدينا الحد المكانى الذى ليست له أبعاد ولا اتجاهات وهو النقطة Point وتلك هى اللحظة الأولى من اللحظات الثلاث التى ينقسم إليها المكان داخلياً . أما اللحظة الثانية فهى المسافة Distance أما اللحظة الثالثة أو مركب

اللحظتين السابقتين أو الفاصل المحدد المتعين بين نقطتين : الخط المستقيم Droite ولكن طالما أن المكان ليس كالزمان يحتوى على سلسلة فريدة ، فإنه ينبغى أن نضع على الأقل نقطة خارج المستقيم وهذا يعطينا مستقيماً جديداً والزاوية المحصورة بينهما وإذا ما اتحد المستقيم والزاوية فإنهما يقدمان لنا سطحاً والمستقيم والزاوية والسطح هى المظهر الثانى من أشكال المكان وهناك شكل ثالث من أشكال المكان يتكون على النحو التالى : بما أن السطح يعرف من خلال مستقيمين فإنه يكون له اتجاه Divection معين وتلك هى خاصية المستقيم ، وبالتالى فإنه يستدعى اتجاهاً مخالفاً يكون له بمثابة المقابل oppose أى زاوية ، ، والزاوية لها الآن معنى يختلف قليلاً عن معناها السابق طالما أن الفكرة المتضايفة لها قد تغيرت لدينا الآن : السطح والاتجاه ومركب منها هو الحجم Valume وهكذا نصل إلى السطح والزاوية والحجم ومنها تتكون بغير شك اللحظة الأخيرة فى المكان التى ليست سوى ثلاثة أبعاد .

ويعتقد هاملان مع رنوفيد أن المكان ليس شكلاً فقط من أشكال الحساسية ولكنه مقولة لأنه يملك كل خصائص التصور وهو ذو طابع تركيبى ومع ذلك فإنه لمن الصواب أيضاً أن تقول أن المكان حدس Intuition على حين أن السببية والغاية والزمان ليست حدوساً بهذا المعنى نفسه . والواقع أن المكان يمكن أن يرى ويمكن كذلك أن يلمس أو هو باختصار يمكن أن تقع تحت الإدراك الحسى ، ونحن نقرب بين الإدراك المرئى وبين الإدراك اللمسى للمكان حتى إننا لا نستطيع أن نميز بين الاثنين .. والمكان فى الفهم شأنه شأن جميع الأفكار الأخرى لأنه لا يوجد مكان خاص باللمس ومكان خاص بالبصر وذلك لا يمنع المكان من أن يكون مدركاً حسياً كما أنه فى نفس الوقت مدرك عقلى ، وأنه يستحق بهذا المعنى أن يطلق عليه اسم التمثيل الحدسى والطبيعة

الحدسية إذا ما فهمت بهذا الشكل فإنها لا تخالف فى شىء الطابع العقلى الذى نعرفه عن المكان .[١٢]

جدلية الزمان والمكان :

الحقيقة أن الزمان غير منفصل عن المكان ، وأن قضية الإنسان لا تختلف إذا قلنا إنه فى صراع مع الزمان أو مع المكان ، على أساس أن نفهم من الزمان المكانى ومن المكان الزمانى. وقد أدرك هذه الحقيقة الفيلسوف والشاعر، الفيلسوف بتفكيره والشاعر بتجربته . أدركها وأكدها الكسندر حين قال : أن قليلاً من النظر المتأمل يكفى لبيان كيف أنهما (أى الزمان والمكان) يعتمد الواحد منهما على الآخر ، ومن ثم فليس هناك مكان بلا زمان كما ليس هناك زمان بلا مكان ، تماماً كما أن الحياة لا تقوم بغير جسم ، والجسم لا يستطيع أن يؤدى وظيفته من حيث هو جسم دون الحياة ، فالمكان بحكم طبيعته ذاتها زمانى والزمان مكانى . وقد رتب على ذلك أنه ليس هناك لحظات زمانية بغير موضع فى المكان ، ولا موضع فى المكان بغير لحظة زمانية. فالموضوع يتمثل فى لحظة واللحظة تشغل موضعاً. وليس هناك تلك الأشياء التى يقال لها مواضع أو لحظات تقوم بذاتها ، كل ما هناك لحظات موضعية أو أحداث صرف .

وإذا كان الزمان بالنسبة للمكان هكذا كالروح بالنسبة للجسم فإن معنى ذلك أنهما يكونان معاً وحدة حيوية لها صفاتها الخاصة الجديدة وهذه الصفات الجديدة ليست مجموع الصفات الزمانية والصفات المكانية ، وإنما هى صفات ذات طبيعة موحدة ، تماماً كما أن الكائن الحى ليس مجموع صفات الروح والجسم وإنما تستقل صفاته عن صفات هذين العنصرين مستقلين . والاتجاه العام عند الكسندر إلى تأكيد هذه الوحدة بين الزمان والمكان على أساس أنها

ضـرورة ، فالزمـان والمكـان يرتبطـان (عنـده) ارتباطـاً قويـاً لا مـن الناحيـة النفسية والطبيعية فحسب ، بل من الناحية الوجودية كذلك وقد كان من هذا المزيج تلك البنية الزمكانية (الزمكانية Space - Time) التى تعبر عن الوجود المتشيء أو الشيء الموجود أو القائم ، أو لنقل عن المكان المتزمن . غير أن المألوف فى الحياة العادية – فيما يبدو – أننا لا ننظر إلى هذه البنية الوجودية هذا النظر ، وإنما الأغلب – ولعل ذلك لداعى السهولة فى التناول – أننا ننظر إلى الزمان والمكان على أنهما مستقلان وإن كانت بينهما علاقة . والكسندر نفسه لا ينكر أننا أكثر إلفا من الناحية النفسية للزمان والمكان عن الزمكان .[١٣] وقد صاغ مصطلح الـ (زمكان) مينكوسكى عام ١٩٠٨ ومن المحتمل أنه لم يستخدم قط قبل هذا التاريخ ومع أن الكلمة كانت مضللة، إلا أن التصور نفسه كان موجوداً.. وقد سمى ديكارت الزمن (بعداً)، وحتى دالمبير سماه (البعد الرابع) . بينما أطلق لاجرانج على علم الميكانيكا (هندسة الأبعاد الأربعة) . وليس ثمة جدال فى أن العلم القديم ، وكذلك الفلسفة الكلاسيكية كان لهما فكرة محددة عن الطريقة التى ارتبط بها المكان والزمان ولهذا المعنى يستطيع المرء أن يتحدث عن الفكرة الكلاسيكية أعنى : الزمكان النيوتينى – الاقليدى أى المتصل الزمانى الرباعى الأبعاد .[١٤]

المكان والإنسان :

تعد كلمة (المكان) Space و(الزمان) Time من الكلمات الشائعة التى تحمل من المعانى ما قد يجعلها تلتبس على الأذهان وتحمل كلمة (المكان) معانى الحيز والحجم والمساحة والخلاء ، أما فى اللغة الاصطلاحية الإنجليزية فغالباً ما تعنى كلمة Space الفضاء الخارجى أى المنطقة الواقعة خارج الغلاف الجوى للأرض والتى نحسب أنها خواء ، بينما هى فى الواقع ليس

فراغاً تاماً ، حيث لا تخلو المسافات السحيقة فيما بين النجوم والكواكب من مقدار دقيق على الأقل من المادة ، علاوة على كمية كبيرة من الإشعاعات من هذا النوع أو ذاك ، ومع ذلك فإن الفضاء تتصل دائماً فى الأذهان (بالفراغ) Emptiness أى ما يتبقى بعد زوال كل شىء ملموس ، وبالتالى يعتبر معظم الناس الفضاء بمثابة الوعاء الضخم الذى يستوعب داخله الكون بما يشمله من مجرات ونجوم وكواكب . وذلك يعنى أن الفضاء لا يزول بوجود المادة ولكنه (يمتلئ بها) .

وتختلف تجربة الإنسان بشأن الزمان عنها بالنسبة للمكان . فالزمان يعد شكلاً واحداً من أبسط مظاهر حياة البشر ، إنه ينساب تلقائياً إلى عمق وعينا فيحدد مداركنا ومواقفنا ولغتنا . ويتسم الزمان بأن بنيته تحتل أبسط المراتب الأساسية . على عكس المكان الذى ترتهن بنيته بالمشاهدة والقياس والتجرد بعيداً عن المألوف. ولذلك فنحن نحصل على المعلومة المتعلقة بالمكان إما فى المعمل أو بالحواس الخارجية بينما تلج المعلومة المتعلقة بالزمان عبر (باب خلفى) إما فى الأذهان مباشرة . ويمكن وصف بنية الزمان خلال هذا الباب الخلفى بأنها انسياب أو تدفق متواصل بين الماضى والمستقبل يحمل معه ضمائرنا وتجاربنا من اللحظة الخالية إلى اللحظة التالية . وإذا كان المكان يرتبط فى ذهن البشر بالفراغ ، فإن الزمان يجسد الحركة والنشاط الدائبين .[١٥]

ويستخدم المعماريون وغيرهم من مصممى المدن والمبانى تعبير الاحساس بالمكان sense of place لوصف تلك القدرة التى يمتلكها مكان معين على احداث واستحضار معان مشتركة ، لكنها تتسم بالخصوصية فى الوقت نفسه ، ويتم هذا من خلال النشر أو العرض لعناصر فيزيقية (أى طبيعية) معينة ، تستدعى بدورها مجموعة ثرية من الأفكار والمشاعر والتداعيات . ونحن نفترض أنه ليست كل البيئات الطبيعية التى نقطنها هى

أماكن ذات معنى ، فقد قارن أحد الباحثين وهو ريلف relph عام ١٩٧٦ بين فكرة الاحساس بالمكان ، وفكرة فقدان الاحساس بالمكان place lessness ففى عدد من المدن المعاصرة فى عالمنا اليوم ، أى الاستغراق فى عمليات تقنين العناصر ، وتجانس وحدات وأشكال البناء ، وتزايد الحاجة الى اسكان أعداد كبيرة متزايدة من البشر ، أدى الى اختفاء الملامح المحلية والخصال الفريدة المميزة للمكان ، التى يمكن من خلالها المقارنة بين شعب وشعب آخر ، أو بين جماعة بشرية وجماعة أخرى . ويقول بعض الباحثين أن ذلك قد أدى الى فقدان الاحساس بالمكان فى حالات كثيرة ، وقد أدى الى التدمير لما أطلقت عليه سبيفاك spivack اسم " أماكن الأنماط الدولية " archetypicll places (مستخدمة تعبير المحلل النفسى يونج) ، وهى الأماكن التى تعضد تكامل الأسرة والمجتمع والهوية الفردية والقومية ، أدى ذلك – كما يقول بعض الباحثين – الى تزايد الاضطراب فى السلوك الاجتماعى وفقدان الشعور بالأمان أو حسن الحال . أن ما يكمن فى المكان الفريد المتميز هو تلك الخصائص التى تعمل على تنشيط التعبيرات الرمزية عن الذات وعن ذكريات هذه الذات وطموحاتها وخيالاتها . (١٦)

ويلعب المكان دوراً هاماً فى تكوين هوية الكيان الجماعى والتعبير عن المقومات الثقافية خاصة بعد أن أثرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية التى تحرك الشعوب فى جميع أنحاء العالم ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتصب أو حرم منه الإنسان . والمكان حقيقة معاشة يؤثر فى البشر ويؤثرون فيه بنفس القدر فلا يوجد مكان فارغ سلبى ويعمل المكان فى طياته فيما تنتج من التنظيم المعمارى كما تنتج عن التنظيم الاجتماعى فيفرض كل مكان سلوكاً خاصاً على الناس الذين يلجئون إليه . أن نوعى المكان :

المكان الأليف والمكان الخارجى يظلان يشجعان بعضهما فى نموهما .. وتواجد الأشياء فى المكان الذى نضيف إليه وعى وجودنا الخاص هو شىء ملموس جداً.. من خلال ذلك نستطيع تقييم ذلك البعد الشديد الخصوصية فى العلاقة ما بين الفرد كوحدة اجتماعية وبين المكان ، خاصة وأن المكان كما ظهر يلعب دوراً بارزاً فى تكوين هوية الكيان الجماعى والتعبير عن المقومات الثقافية وبطبيعة الحال تخضع الأماكن لسلطة بعينها .. ويمكن تقسيم المكان لأربعة أنواع وفقاً للسلطة التى تخضع لها :

أولاً : عندى(وهو الذى أمارس فيه سلطتى ويكون بالنسبة لى صميماً)

ثانياً : عند الآخرين ويختلف عن سابقه فى أننى أخضع فيه لسلطة الغير

ثالثاً : أماكن عامة .

رابعاً : المكان اللا متناهى (المطلق) ..

وبطبيعة الحال يقودنا هذا لأمر هام هو علاقة الفرد (الإنسان) بجماليات المكان ومدى شعوره بالحرية وممارسته لها أو مدى قهره وإحساسه بالضيق ومدى تفاعله مع المكان الذى يعيش فيه ..

الهوامش

(١) أحمد طه حسين : ظرف المكان فى النحو ، وطرق توظيفه فى الشعر ، مجلة الف العدد السادس ١٩٨٦ ص ١١ .

(٢) يورى لوتمان : مشكلة المكان الفنى . ترجمة سيزا قاسم . مجلة الف الجامعة الأمريكية العدد السادس ١٩٨٦ ص ٨٩ .

(٣) شاكر عبد الحميد : الوعى بالمكان ودلالته ، مجلة فصول ، المجلد الثالث عشر العدد الرابع ١٩٩٥ ص ٢٤٩ .

Resenthal and Judin : Adictionary of philosophy, 1967, p. 453.

(٥) د. على عبد المعطى: المدخل إلى الفلسفة . دار المعرفة الجامعية ١٩٩١ الإسكندرية ص ٨٠ .

(٦) السابق : ص ٨١ .

(٧) د. يمنى طريف الخولى : الزمان فى الفلسفة والعلم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ، ص ١٣ .

(٨) المعجم الفلسفى المختصر : دار التقدم – موسكو ٤٧٥ .

(٩) د. على عبد المعطى : السابق ٨٣ .

(١٠) السابق : ٨٥ .

(١١) د. يمنى طريف الخولى : السابق ٢٠ .

(١٢) د. إمام عبد الفتاح إمام : تطور الجدل بعد هيجل – الكتاب الأول – جدل الفكر . دار التنوير ١٩٨٤ . (٥٣)

(١٣) د. عز الدين إسماعيل : قضايا الإنسان فى الأدب المسرحى المعاصر . الألف كتاب ٤١٢ دار الفكر العربى (٢٥٣)

(١٤) ميليك : الزمان – المكان أصوب من المكان – الزمان . ت. حسن حسين شكرى . مقال (فى) مجلة ديوجين عدد ٦٧ نوفمبر ١٩٨٤ ص ٢٣ .

(١٥) ب. س. ديفيز : المفهوم الحديث للمكان والزمان . ترجمة . د. السيد عطا ، الهيئة المصرية . ١٩٩٨ ص ١٣ .

(١٦) د . شاكر عبد الحميد : الحلم والرمز والأسطورة ، ص٢٩٠،٢٩١

.... وكانت لذته الكبرى أن يطمـئن إلى مجلـس منعـزل على طوار القهوة فيشبك راحتيه على ركبتـه ، ويلبـث سـاعات متتابعات جامدا صامتا ، يشـاهد الـرائحين والغـادين بطـرف ناعس وجفنين ثقيلـين ، لا يمـل ولا يتعـب ولا يجـزع ، فعـلى كرسيه من الطوار كانت حياته ولذته .....

(نـجيب محفوظ / همس الجنـون)